مقدمات في التفسير الموضوعي

(الدراسة النظرية)

إعداد

أ.د/ عبد الله موسى أبو المجد

د / أحمد إمام عبد العزيز عبيد

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد

فإن الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه الكريم من الضياع والتحريف، قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ **(الحجر: ٩)**، فالنص القرآني محفوظ من التغيير والتبديل، وقد قامت الأمة عبر العصور المختلفة بدور كبير في حفظ هذا الكتاب الذي ارتضاه الله تعالى دستورا وشريعة للعالم كله منذ ظهوره وحتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

وقد حظيت الدراسات التفسيرية بنصيب وافر من عناية الأمة الإسلامية بالقرآن الكريم ، وأكثرها حظا قديما التفسير التحليلي، أما التفسير الموضوعي فكما سيأتي وجدت بذوره الأولى في عهد نزول القرآن، ثم استوى على سوقه في العصر الحديث ، وعندما أردت أن اكتب مقدمة في التفسير الموضوعي يستفيد بها الجميع وقع بين يدي مقدمة كتبها أستاذي الدكتور/ عبد الله موسى أبو المجد وهي مقدمة جليلة دُرست مرارا وتكرارا لطلاب كليتنا كلية أصول الدين والدعوة بطنطا فاستأذنت منه أن أكتبها على الحاسب الآلي فقمت بذلك وأضفت إليها الكثير من الزيادات حتى تخرج في أبهى صورة

منهج البحث

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي ، حيث قمت بتتبع ما كتبه العلماء عن التفسير الموضوعي ثم قمت بتحليل الأفكار والآراء إلى عناصرها الأولية ، وشرحها شرحا مبسطا؛ للوقوف على حقيقة أمرها.

هيكل البحث

قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتسعة مباحث .

أما المقدمة فقد تناولت الحديث فيها عن منهج البحث، وهيكله.

وأما المباحث فهي كالتالي:

المبحث الأول: تعريف التفسير لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: أنواع التفسير باعتبار المنهج.

المبحث الثالث: أنواع التفسير الموضوعي.

المبحث الرابع: نشأة التفسير الموضوعي ومراحل تطوره.

المبحث الخامس: من فوائد التفسير الموضوعي وثماره الزكية.

المبحث السادس: خطوات البحث في التفسير الموضوعي لموضوع واحد.

المبحث السابع: أمور يجب التنبه لها.

المبحث الثامن: الحكمة من توزيع الموضوع الواحد في القرآن.

المبحث التاسع: خطوات البحث في التفسير الموضوعي لسورة قرآنية واحدة.

وآخرًا فهرس الموضوعات.

والله أسأل أن أكون قد وفقت في هذا البحث ، وأن يهديني لما اختُلف فيه من الحق بإذنه ، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه ، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة ، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تمهيد:

إن أول وأهم ما يعنى به كل باحث في مطلع كلامه أن يوضح المراد من بحثه، وأن يحدد مفهوم هذا البحث وما يتعلق به من جزئيات وتفاصيل حتى تتضح معالمه جميعًا لدى الناظرين فيه والمطلعين، ومن ثم فإن معالم هذا البحث – والتي أريد أن أنوه إليها – متعددة وهي إجمالاً كما يلي:

المبحث الأول: تعريف التفسير لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: أنواع التفسير باعتبار المنهج.

المبحث الثالث: أنواع التفسير الموضوعي.

المبحث الرابع: نشأة التفسير الموضوعي ومراحل تطوره.

المبحث الخامس: من فوائد التفسير الموضوعي وثماره الزكية.

المبحث السادس: خطوات البحث في التفسير الموضوعي لموضوع واحد.

المبحث السابع: أمور يجب التنبه إليها.

المبحث الثامن: الحكمة من توزيع الموضوع الواحد في القرآن.

المبحث التاسع: خطوات البحث في التفسير الموضوعي لسورة قرآنية واحدة.

والآن إليك تفصيلها:

المبحث الأول: تعريف التفسير لغة واصطلاحا.

أولاً: **التعريف اللغوي**:

التفسير في اللغة مأخوذ من الفَسْر، يقال: (فَسر الشيء يفسِره ويفسُره بالكسر والضم فسراً: أي أبانه. والتفسير: كشف المُغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل) (١).

وإن استقصينا معاجم العربية نجد أنها لن تخرج عن هذا الإطار، فقد جاءت هذه المادة لعدة معان، منها:

١ ـ التعرية للانطلاق، يقال: فسرت الفرس، أي عريته لينطلق، فهو راجع للمعنى الأول، فكأنه كشف ظهره لما يريده منه من الجري.

٢ ـإظهار المعنى المعقول، ولذلك يُطلق على تفسير الرؤى والأحلام، ومنه التفسرة (القليل من الماء الذي يراجع فيه الأطباء لتشخيص المرض)، وهو ظاهر الرجوع للمعنى الأول.

٣ ـ وقيل مقلوب من السّفر، بمعنى الكشف ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ﴾ **(المدثر: ٣٤)**، أي أضاء وظهر، وفرق بعضهم بينهما بأن السّفر خاص بالكشف المادي والظاهر، والفسْر خاص بالكشف المعنوي والباطن.

٤ـ الشرح والبيان (٢).

وبناء عليه يمكن القول: إن مادة (فسر) تدور حول معاني: البيان والإظهار والكشف والتوضيح والشرح، سواء كان لأمر مادي محسوس أو معنوي معقول، وكلها معان متقاربة، لا تعارض بينها، وهي تدور حول دائرة واحدة.

ثانيا: **التعريف الاصطلاحي**:

عُرف التفسير بتعاريف متعددة منها ما هو مطول أو متوسط أو موجز، **فمن التعاريف**

---

(١) لسان العرب، للإمام العلامة محمد بن مكرم بن منظور، ١٠١/٧، مادة (فسر)، ط دار الحديث، القاهرة ، ٢٠٠٣م.

(٢) يراجع فيما سبق البحر المحيط، للإمام أبي حيان الأندلسي، تح/ علي معوض وآخرين، ١ / ١٢١، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ٣ / ٣٨٠، كتاب الجمهورية، والبرهان في علوم القرآن، للإمام الزركشي ٢ / ١٦٣، دار الفكر للطباعة والتوزيع، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

المطولة ما ذكره الإمام الزركشي قائلًا: (هُوَ عِلْمُ نُزُولِ الْآيَةِ وَسُورَتِهَا وَأَقَاصِيصِهَا وَالْإِشَارَاتِ النَّازِلَةِ فِيهَا ثُمَّ تَرْتِيبِ مَكِّيِّهَا وَمَدَنِيِّهَا وَمُحْكَمِهَا وَمُتَشَابِهِهَا وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها وَمُطْلَقِهَا وَمُقَيَّدِهَا وَمُجْمَلِهَا وَمُفَسَّرِهَا، وَزَادَ فِيهَا قَوْمٌ فَقَالُوا: عِلْمُ حَلَالِهَا وَحَرَامِهَا وَوَعْدِهَا وَوَعِيدِهَا وَأَمْرِهَا وَنَهْيِهَا وَعِبَرِهَا وَأَمْثَالِهَا) (١).

ويُلاحظ أن هذا التعريف قد ذكر العلوم التي ترتبط بالدراسات القرآنية التي تخدم كتاب الله تعالى.

ومن التعاريف المتوسطة ما ذكره الإمام أبو حيان قائلًا: (التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك) (٢).

ثم شرح هذا التعريف قائلًا: (فقولنا علم هو جنس يشمل سائر العلوم. وقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هذا هو علم القراءات. وقولنا ومدلولاتها، أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم. وقولنا وأحكامها الإفرادية والتركيبية هذا يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب شمل بقوله التي تحمل عليها ما لا دلالة عليه بالحقيقة، وما دلالته عليه بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئا، ويصد عن الحمل على الظاهر صاد، فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر، وهو المجاز. وقولنا، وتتمات لذلك، هو معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضح بعض ما انبهم في القرآن، ونحو ذلك) (٣).

ويُلاحظ أنه لم يبعد كثيرًا عن التعريف الذي ذكره الإمام الزركشي، لكنه لم يتوسع في التعريف واقتصر على بعض العلوم، بخلاف سابقه الذي جعله متناولًا لكل علوم القرآن تقريبًا.

ومن التعاريف الموجزة ما ذكره الإمام الزركشي قائلًا: (التَّفْسِيرُ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ فَهْمُ كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيَانُ مَعَانِيهِ وَاسْتِخْرَاجُ أَحْكَامِهِ وَحِكَمِهِ) (٤).

---

(١)البرهان في علوم القرآن ١٤٨/٢، تح أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الأولى ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية: عيسى البابى الحلبي وشركاؤه.

(٢) البحر المحيط، ١ / ٢٦ ، تح/ صدقي محمد جميل، ١٤٢٠ هـ، دار الفكر – بيروت،

(٣) السابق: الجزء نفسه والصفحة نفسها.

(٤) يراجع: البرهان في علوم القرآن، للإمام الزركشي ١٣/١ تح أ/ محمد ابو الفضل إبراهيم، ط مكتبة دار التراث بالقاهرة، بدون.

وما ذكره الإمام الزرقاني قائلًا: (والتفسير في الاصطلاح: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية) (١).

وأرى أن التعريفين قريبان في المعنى، ويركزان على المعنى المقصود من التفسير، وألفاظهما، ومراميهما أوضح من أن يُعلق عليها، أو تتبع ببيان أو توضيح؛ لذا فلن أقف معهما، وأفسح المجال الآن للحديث عن مناهج التفسير وموقع التفسير الموضوعي منها،

وذلك فيما يلي:

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ٢ /٣، ط الثالثة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ولمعرفة المزيد من التعاريف يراجع: التفسير والمفسرون، للدكتور/ محمد حسين الذهبي، ١٥/١، مطبعة وهبة بالقاهرة، ١٩٨٩م.

المبحث الثاني: أنواع التفسير باعتبار المنهج.

ينقسم التفسير باعتبار المنهج وطريقة التناول إلى أقسام أربعة:

الأول: التفسير التحليلي:

يتضح من اسمه (التحليلي) أنه يُعنى بتحليل الآيات القرآنية موضع الدراسة، ومعنى تحليلها: أي بيان كل ما يستطيع المفسر بيانه مما يتعلق بها، ولذلك عُرّف بأنه: (التفسير الذي يقف فيه المُفسر أمام كل آية حسب الترتيب المصحفي، ويقوم بتحليلها تحليلًا موسعًا، يعنى فيه بتحقيق المفردات ودلالاتها اللغوية، والتركيبية، وما يُستنبط منها من معان وحكم وأحكام، مبرزًا ما يتعلق بالآية من مختلف الموضوعات والمباحث والمسائل، في العقيدة واللغة والنحو والبلاغة والروايات والأخبار والقراءات، وأسباب النزول إن وجدت، مشيرًا إلى أهم ما ترمي إليه من قواعد وعظات) ، مع تناول ذلك بأسلوب واضح بيّن، ويتسم مفسرو هذا اللون بثقافة موسوعية متعددة وشاملة، ويمثل هذا النوع: الإمام أبو السعود في تفسيره إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، والإمام الألوسي في تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني... وغيرهما (١).

الثاني: التفسير الإجمالي:

يتضح من اسمه (الإجمالي) أنه تفسير مختصر، فهو كسابقه (التحليلي) لكنه بطريقة مجملة مختصرة، ولذلك عُرّف بأنه: التفسير الذي يقوم المفسر فيه بتوضيح المراد من كتاب الله تعالى متناولا الآيات القرآنية على غرار ما يتناوله بها في المنهج التحليلي لكن بإجمال واختصار، فيقدم المعنى الإجمالي للآيات بدون توسع أو تفصيل، ودون تحليل أو تطويل، ويذكر أرجح الأقوال ضاربا صفحا عن الأقوال المرجوحة، وكل ذلك بأسلوب مركز موجز، دون استطراد في المباحث اللغوية أو العقدية أو الفقهية ... ونحوها.

وأهم ما يمثل هذا النوع، وأبرز من يتسم به الإمام النسفي (٢) رحمه الله تعالى، في

---

(١) يراجع: مقومات الحياة من القرآن، لأستاذنا الراحل أ.د/ إبراهيم الدسوقي خميس - رحمه الله تعالى -، صـ ٢٠، ط دار الصحوة للنشر بالقاهرة، ١٩٨٥م، والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د/ صلاح الخالدي، صـ ٢٧، ط دار النفائس بالأردن، ٢٠٠١م.

(٢) النسفي هو: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، الفقيه الحنفي، نسبته إلى "نسف" ببلاد النهرين، له مصنفات جليلة منها: (مدارك التنزيل، كنز الدقائق في الفقه، كشف الأسرار، الوافي في الفروع ... وغيرها) توفي سنة ٧١٠هـ ، (يراجع: الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، للإمام محيي الدين =

تفسيره "مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، والجلالان (١) في تفسيريهما، والإمام الواحدي (٢) في "الوجيز في تفسير القرآن".

كما يُمكن أن يدخل فيه في عصرنا هذا مقدمات التلاوة التي يشرح بها أحد العلماء الآيات التي سيتلوها بعض القراء، وكذا التفاسير المطبوعة مع المصاحف.

وهذا النوع يمكن أن يلحق بالنوع السابق ويدخل ضمنه لأنهما يقومان على خطوات واحدة، إلا أن الأول يغاير الثاني في طريقة العرض والتناول؛ حيث الإطناب، بينما يتناولها الثاني بشيء من الاختصار والإيجاز.

الثالث: **التفسير المقارن**.

يتضح من اسمه (المقارن) أنه يقوم على عقد مقارنة، بين مفسرين أو أكثر سواء بين مناهجهم أو قضية معينة ... أو غير ذلك، ولذلك عُرّف بأنه: التفسير الذي يقوم فيه صاحبه بالجمع بين ما كتبه مفسران أو أكثر، ويبرز ما بين الكاتبين أو الكتاب من تمايز أو اتفاق أو اختلاف، ويوضح أوجه التفوق والقصور، والتأثر والتأثير، وهذه المقارنة لا تشمل تفسير القرآن كله؛ لأن هذا أمر غير وارد، وإنما تكون خاصة بسورة معينة، أو موضوع محدد (٣).

ولقد تناول هذا النوع عدد من الباحثين في رسائلهم العلمية "الماجستير أو الدكتوراه" في التفسير من كليات أصول الدين بفروعها المختلفة قديما وحديثا.

وذلك مثل: منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم للأستاذ الدكتور/ عبد الوهاب فايد -رحمه الله تعالى- ، والقرطبي ومنهجه في التفسير للأستاذ الدكتور/ القصبي زلط - رحمه الله تعالى- ، والواحدي ومنهجه في التفسير للأستاذ الدكتور/ جودة المهدي - رحمه الله تعالى- ... وغيرهم.

=

بن محمد بن أبي الوفاء، (ت ٧٧٥هـ)، تح أ/ عبد الفتاح الحلو، ط الحلبي، ١٩٧٨م، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للإمام ابن حجر العسقلاني، ٢٤٧/٢، ط دار الجيل، بيروت بدون).

(١) الجلالان هما: الإمام جلال الدين السيوطي، صاحب التصانيف الجمة، المتوفى (٩١١هـ)، والثاني: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، فسر النصف الثاني من القرآن توفي (٨٦٤هـ).

(٢) الواحدي هو علي بن أحمد بن محمد أبو الحسن الواحدي، عالم بالأدب والتفسير، له مصنفات عدة منها (الوسيط والبسيط في التفسير، وأسباب النزول ... وغيرها)، توفي بنيسابو ٤٦٨هـ، (يراجع: طبقات المفسرين، للإمام الداودي، ٣٩٤/١، والأعلام، للإمام خير الدين الزركلي، ٢٥٥،/٤، ط دار العلم للملايين ببيروت.

(٣) مقومات الحياة صـ ٢١، والتفسير الموضوعي د/ الخالدي، صـ ٢٨ بتصرف.

الرابع: التفسير الموضوعي.

وهو بيت القصيد وموضوع بحثنا، وقد سبق التعريف بالتفسير، **وبقي التعريف بكلمة الموضوعي في اللغة ثم الاصطلاح فيما يلي:**

(١) **التعريف اللغوي.**

كلمة "الموضوعي" نسبة إلى الموضوع، والموضوع مشتق من الوضع، والوضع في أصله اللغوي يطلق على "الحط والإلقاء"، (يقال: وضع الشيء من يده يضعه وضعا إذا ألقاه) وحَطّه (١).

يقول الإمام ابن فارس: "(**وضع**) الواو والضاد والعين: أصلٌ واحد يدلُّ على الخَفْض [للشيء] وحَطِّه. ووَضَعتُه بالأرض وضعاً، ووضَعت المرأة ولدَها. [و] وُضِع في تِجارته يُوضَع: خَسِر. والوضائع: قومٌ يُنقَلون من أرضٍ إلى أرضٍ يسكنون بها الوَضيع: الرّجُل الدنِيّ " (٢).

ويقول الإمام الراغب: " (**وضع**) الوَضْعُ أعمّ من الحطّ، ومنه: المَوْضِعُ، قال تعالى ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ (النساء: ٤٦)، (المائدة: ١٣)، ويقال ذلك في الحمل، ويقال: وَضعَتِ الحملَ فهو مَوْضُوعٌ ﴿ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ﴾ (الغاشية: ١٤)، ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴾ (الرحمن: ١٠)، فهذا الوَضْعُ عبارة عن الإيجاد والخلق، ووَضَعَتِ المرأةُ الحمل وَضْعاً. قال تعالى ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ ﴾ (آل عمران: ٣٦) .....، ووَضْعُ البيتِ: بناؤُهُ، قال الله تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران: ٩٦)، ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ (الكهف: ٤٩) هو إبراز أعمال العباد نحو قوله تعالى: ﴿ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ (الإسراء: ١٣)، ووَضَعَتِ الدابَّةُ تَضَعُ في سيرها وَضْعاً: أسرعت، ودابّة حسنةُ المَوْضُوعِ، وأَوْضَعْتُهَا:

---

(١) لسان العرب، ٣٣٠/٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة، (مادة وضع)، ٦ / ١١٧، ١١٨، تح/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

حملتها على الإسراع، قال الله عزّ وجلّ ﴿ وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ﴾ (التوبة: ٤٧)، ... والوَضِيعَةُ: الحطيطةُ من رأس المال، وقد وُضِعَ الرّجلُ في تجارته يُوضَعُ: إذا خسر، ورجل وَضِيعٌ بيّن الضعَةِ في مقابلة رفيع بيّن الرّفعة" (١).

ويقول الإمام ابن منظور: " **وضع**: الوَضْعُ: ضِدُّ الرَّفْعِ، وضَعَه يَضَعُه وَضْعاً ومَوْضُوعاً، ... والموضِعُ: مَصْدَرُ قَوْلِكَ وَضَعْتُ الشَّيْءَ مِنْ يَدِي وَضْعاً وَمَوْضُوعًا، ... والوَضْعُ أَيضاً: الموضوعُ، ... والوَضِيعُ: البُسْرُ الَّذِي لَمْ يَبْلُغْ كلُّه ... والوَضِيعُ: أَن يُوضَعَ التمرُ قَبْلَ أَن يَجِفَّ فيُوضَعَ فِي الجَرِينِ أَو فِي الجِرارِ ... يُقَالُ: وضَعَ الشيءَ مِنْ يَدِهِ يَضَعُه وَضْعاً إِذا أَلقاه ... وضَعَ يدَه فِي الطَّعَامِ إِذا أَكله ... والوَضِيعةُ: الحَطِيطةُ.... ووَضعَ عَنْهُ الدَّيْنَ والدمَ وَجَمِيعَ أَنواعِ الجِنايةِ يَضَعُه وَضْعاً: أَسْقَطَه عَنْهُ ... ودَيْنٌ وضِيعٌ: مَوْضُوعٌ؛ ... ووضَعَ الشيءَ وَضْعاً: اخْتَلَقَه. وتَواضَعَ القومُ عَلَى الشَّيْءِ: اتَّفَقُوا عَلَيْهِ. وأَوْضَعْتُه فِي الأَمرِ إِذا وافَقْتَه فِيهِ عَلَى شَيْءٍ. ... والوَضِيعُ: الدَّنِيءُ مِنَ النَّاسِ ... والتَّواضُعُ: التَّذَلُّلُ. وتَواضَعَ الرجلُ: ذَلَّ. ... وتَواضَعَتِ الأَرضُ: انْخَفَضَتْ عَمَّا يَلِيهَا" (٢).

ويستعمل الوضع في لغة القرآن الكريم على عدة أوجه، منها:

(١) المعنى السابق "الحط والإلقاء" ومنه قوله تعالى ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ (الشرح: ٢)، أي حططناه عنك.

(٢) الولادة، ومنه قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ (آل عمران: ٣٦)، أي ولدتها أنثى (٣).

(٣) الخلق والبسط، ومنه قوله تعالى ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ (الرحمن: ١٠)، أي خلقها وبسطها لهم (٤).

---

(١) المفردات في غريب القرآن، (مادة وضع)،.٨٧٤، تح/ صفوان عدنان الداودي، دار القلم - الدار الشامية، دمشق – بيروت، ط الأولى - ١٤١٢ هـ.
(٢) لسان العرب، (مادة وضع)،.٨ / ٣٩٦، دار صادر – بيروت، ط: الثالثة - ١٤١٤هـ.
(٣) الوجوه والنظائر لألفاظ الكتاب العزيز، للإمام أبي عبد الحسين بن محمد الدامغاني، المتوفى (٤٧٨هـ)، ٢٨١/٢، ٢٨٢ ، تح أ/ محمد حسن أبو العزم ط المجلس للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٩٩٥م.
(٤) يُراجع: المفردات في غريب القرآن للإمام الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، صـ ٥٤٠، (وضع)، تح أ/ محمد خليل غياتي، ط دار المعرفة بيروت ١٩٩٩م، والوجوه والنظائر ٢٨٢/٢.

(٤) نصب الأشياء، ومنه قوله تعالى ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ (الأنبياء: ٤٧)، يعني وننصب الموازين.

(٥) السير، ومنه قوله تعالى ﴿ وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ ﴾ (التوبة: ٤٧)، أي حملوكم على السير بسرعة نحو الفتنة (١).

(٦) نزع الثياب، ومنه قوله تعالى ﴿ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ﴾ (النور: ٥٨)، أي تنزعون ثيابكم في القيلولة (٢).

والذي يعنينا من هذه الوجوه أولها؛ حيث إنني أرى أنه هو المعنى الحقيقي، وما عداه من قبيل المجاز، والله تعالى أعلى وأعلم (٣).

وعليه فهذا المعنى المختار له وجهان:

الأول: وضع مادي محسوس، ومنه وضع الشيء على الأرض بمعنى إلقائه وتثبيته فيها.

والثاني: وضع معنوي ومنه الوضيع، وهو الدنيء المهان الذليل، الذي قعدت به همته أو نسبه، مكانه ملقى على الأرض، لا يفارق موضعه الذي التصق به.

وكلا النوعين يلتقيان على البقاء في المكان وعدم مغادرته (٤).

وهذا المعنى ملحوظ في **"التفسير الموضوعي"**؛ لأن الباحث فيه يرتبط بمعنى معين من المعاني لا يتجاوز إلى غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي التزم به (٥).

ومن خلال ما سبق يمكننا معرفة الارتباط الوثيق بين هذا المعنى اللغوي لكلمة

---

(١) الوحدة الموضوعية، د/ محمد محمود حجازي، صـ ٣٣، ط المدني بالقاهرة، ١٩٧٠م، والوضع في الآية هنا مأخوذ من وضع البعير وضعا إذا عدا وأسرع في مشيه (يراجع: لسان العرب ٣٣١/٩، وتفسير الإمام أبي السعود ٣١٤/٢).
(٢) الوجوه والنظائر، ٢٨٢/٢.
(٣) وممن سبقني إلى هذا الرأي أيضا د/ محمد محمود حجازي في كتابه (الوحدة الموضوعية) صـ ٣٣.
(٤) يراجع: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د/ صلاح الخالدي صـ ٢٩ بتصرف.
(٥) مباحث في التفسير الموضوعي، د/ مصطفى مسلم، صـ ١٥ بتصرف، ط دار القلم دمشق ٢٠٠٠م.

الموضوعي وبين المعنى الاصطلاحي الذي سنذكره فيما يلي:

(٢) **التعريف الاصطلاحي**:

عُرّف التفسير الموضوعي اصطلاحًا بتعاريف متعددة، شأنه شأن التفسير، حيث إن منها ما هو مطول، ومتوسط وموجز، فقد جاء تعريفه في كتاب التفسير الموضوعي(٢) أنه (هو علم يبحث في القرآن الكريم، من حيث استخراج ما في القرآن من موضوعات، وجمع الآيات المتعلقة بكل موضوع، وتقسيمها إلى عناصر يسميها الباحث فصولًا، أو يجعل الفصول أبوابًا، أو يقسمها إلى فقرات يعرضها، فينتقل من فصل إلى فصل، ومن باب إلى باب، ومن فقرة إلى فقرة، إلى أن يوفي الموضوع حقه من البحث، وهو في ذلك يستعين بما يتطلبه البحث من الأحاديث النبوية، وأقوال الأئمة، وما جاء في كتب اللغة، وما إلى ذلك مما يتطلبه الموضوع في تجلية جوانبه) (١).

ويُلاحظ على هذا التعريف أنه استقصى وأسهب في ذكر الجزئيات والتفاصيل، التي تتعلق بمنهج البحث في التفسير الموضوعي، كما أنه ركز على نوع واحد فقط من أنواع التفسير الموضوعي (الموضوعي) ولم يُشر لبقية الأنواع.

وعرفه أحمد عبد الله الزهراني قائلًا: (هو إفراد الآيات القرآنية التي تعالج موضوعا واحدا وهدفا واحدا، بالدراسة والتفصيل، بعد ضم بعضها إلى بعض، مهما تنوعت ألفاظها، وتعددت مواطنها - دراسة متكاملة مع مراعاة المتقدم والمتأخر منها، والاستعانة بأسباب النزول، والسنة النبوية، وأقوال السلف الصالح المتعلقة بالموضوع) (٢).

وهو كسابقه إلا أنه قد اختُصر عنه قليلًا، فهو يُعتبر من التعاريف المتوسطة.

وقد ذكر الدكتور مصطفى مسلم بعضًا من تعاريف الباحثين المعاصرين له، تنوعت بين القصر والتوسط، وهي (٣):

(١) هو علم يبحث في قضايا القرآن الكريم، المتحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها، على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع.

ويعتبر هذا التعريف من التعاريف المتوسطة، وقد غلب عليه طابع الشرح والتوضيح

---

(١)مناهج جامعة المدينة العالمية بماليزيا.
(٢)التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه، صـ ١٢، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
(٣) يراجع مباحث في التفسير الموضوعي، ١٦، دار القلم، ط الرابعة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

لمنهج البحث في التفسير الموضوعي، كما ركز على نوع واحد من أنواع التفسير الموضوعي (الموضوعي)، فهو مثل سابقيه.

(٢) هو جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن المتعلقة بالموضوع الواحد لفظًا أو حكمًا وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية.

وهذا التعريف موجز إلى حد ما، ومع ذلك فقد ركز على نوع واحد من أنواع التفسير الموضوعي (الموضوعي) ولم يُشر لبقية الأنواع.

(٣) هو بيان ما يتعلق بموضوع من موضوعات الحياة الفكرية أو الاجتماعية أو الكونية من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده.

وهذا التعريف – كسابقه - موجز إلى حد ما، ومع ذلك فقد ركز على نوع واحد من أنواع التفسير الموضوعي (الموضوعي)، ولم يُشر صراحة إلى النوع الثاني (الموضعي)، ولم يُشر إلى الثالث (الدلالي) مطلقًا.

(٤) هو بيان موضوع ما من خلال آيات القرآن، الكريم في سورة واحدة أو سور متعددة.

وهو أوجز من سابقيه، وأشار صراحة إلى نوعي التفسير الموضوعي (الموضوعي)، و(الموضعي)، لكنه لم يُشر إلى النوع الثالث (الدلالي) مطلقًا.

وقد اجتهد بعض الباحثين بعد عرض بعض التعاريف للتفسير الموضوعي، فخرج بتعريف يعتبره جامعًا مانعًا فقال: "أجتهد قدر وسعي وطاقتي في وضع تعريف جامع يحقق الهدف والغاية والوسيلة، فأقول: إن التفسير الموضوعي: **"(هو جمعُ الآياتِ التي تتناول موضوعاً واحداً أو مصطلحاً واحداً أو الاقتصارُ على الآيات في السورة الواحدة، ويفسِّرُ ذلك تفسيراً موضوعياً مُبرزاً وحدة الموضوع، ومحققاً لمقاصد القرآن وأهدافه)"** (١).

ثم يستطرد قائلًا: "وبهذا التعريف قد أشرتُ إلى الألوان الثلاثة للتفسير الموضوعي، وأشرت إلى الوسيلة والمنهج لتحقيق ذلك، وحددت الهدف والغاية التي يصبو إليها الباحث من التفسير الموضوعي بألوانه المتعددة" (٢) .

---

(١) وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي، للدكتور/ عبد السلام حمدان ، صـ ١٣، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد الثاني عشر – العدد الأول، غزة – فلسطين، يناير ٢٠٠٤م.
(٢) السابق: الجزء نفسه والصفحة نفسها.

وهو جهد يُشكر عليه الباحث، لكنني أرى أن هذا التعريف قد أسهب صاحبه في شرح معنى التفسير الموضوعي، ووقع فيما وقع فيه أصحاب التعاريف الأولى من الخلط بين التعريف والمنهج والوسيلة، وقد اعترف بذلك، فقال: " وبهذا التعريف قد أشرتُ إلى الألوان الثلاثة للتفسير الموضوعي، وأشرت إلى الوسيلة والمنهج لتحقيق ذلك، وحددت الهدف والغاية التي يصبو إليها الباحث من التفسير الموضوعي بألوانه المتعددة" (١).

وقد رجح الدكتور/ مصطفى مسلم التعريف القائل إنه: **(علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من سورة واحدة أو أكثر)**؛ وذلك لخلوه من التكرار ولإشارته إلى نوعيه الرئيسين (٢).

وأزيده سببًا آخر وهو الإيجاز في التعبير، وقديمًا قيل: البلاغة الإيجاز، وأتفق مع الدكتور/ مسلم في أنه قد أشار لنوعيه صراحة (الموضوعي، الموضعي).

لكنه لم يُشر للثالث (الدلالي) صراحة، بل ربما أشار إليه ضمنًا.

وتخلصًا من هذا الإشكال أستطيع أن أعرف التفسير الموضوعي بإضافة كلمة على التعريف السابق تدل على النوع الثالث (الدلالي) بأنه: **(علم يتناول القضايا والألفاظ حسب المقاصد القرآنية من سورة واحدة أو أكثر)**؛ حتى يكون التعريف جامعًا مانعًا، والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) السابق: الجزء نفسه والصفحة نفسها.
(٢) مباحث في التفسير الموضوعي، صـ ١٦.

المبحث الثالث: **أنواع التفسير الموضوعي**.

يمكننا من خلال النظر والتأمل في التعريف الاصطلاحي السابق الوقوف على أهم لونين للتفسير الموضوعي وهما:

الأول: **الموضوعي**.

ويظهر من اسمه أنه يتعلق بموضوع واحد يتتبعه الباحث في جميع سور القرآن؛ ولذلك يُعرف بأنه (بيان الآيات القرآنية الكريمة المرتبطة بموضوع واحد في القرآن كله بعد جمعها، وترتيبها حسب نزولها، واستنباط ما يتعلق بها من حكم وأسرار ومعارف تنكشف بها جوانب الموضوع الواحد وأبعاده المختلفة) (١).

والثاني: **الموضعي**.

ويظهر من اسمه أنه يتعلق بموضع واحد من مواضع القرآن الكريم (سورة من سوره)، بخلاف سابقه، ولذلك يُعرف بأنه (تناول السور القرآنية بالبيان للكشف عن مقاصدها، وأغراضها العامة والخاصة من ربط موضوعاتها المختلفة ببعضها البعض، مع إبراز المقصد الرئيس الذي تدور حوله السورة الكريمة في إطاره المتسق) (٢).

ومن خلال هذين التعريفين يمكننا الوقوف على التفرقة بين النوعين.

فالأول: يتناول موضوعًا واحدًا في جميع سور القرآن، **والثاني**: يتعلق ببيان موضوع واحد أو عدة موضوعات في سورة واحدة من القرآن الكريم.

هذا وقد أضاف بعض العلماء نوعًا آخر وهو:

الثالث: **الدلالي**.

وفيه يتتبع الباحث لفظة من كلمات القرآن الكريم ثم يجمع الآيات التي ترد فيها اللفظة

---

(١) يراجع: مقومات الحياة من القرآن أ.د/ إبراهيم خميس - رحمه الله تعالى - صـ٣٢.
(٢) المصدر نفسه صـ٣٢ بتصرف.

أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، بعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها، ثم استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم) (١).

ولذلك سُمي هذا النوع بالدلالي؛ لأنه يتتبع اللفظة مع دلالاتها المختلفة في جميع المواطن التي وردت فيها بالقرآن الكريم، ويمثل لهذا النوع بكتاب "الأشباه والنظائر في القرآن الكريم" و "المفردات في غريب القرآن" (٢)..وغيرها.

وقد أضاف بعض الباحثين أيضًا نوعًا آخر وهو:
ينبثق من النوع الثاني (الموضعي)؛ حيث يتعلق – من وجهة نظر أصحابه - بالقرآن الكريم كله، يقول الدكتور/ عبد السلام حمدان: " هذا اللون حديث النشأة والولادة ولعل له مستقبلاً زاهراً يضاهي الألوان الثلاثة السابقة، وذلك أن القرآن في ترابط سوره وآياته وتناسبها وإحكامها يظهر في جملته وحدة موضوعية واحدة يغطي قضايا وموضوعات موجودة في كل سورة بل في كل آية من آياته، فعلى سبيل المثال موضوع الهداية، فالقرآن كله هداية لا تستثني من ذلك سورة ولا آيـة تخرج عن هذا المقصد العام، وكذلك الإعجاز فليس هناك سورة إلا ويتحقق فيها هـذا المقصد أيضاً، وهكـذا المقاصد العامة للقرآن تؤخذ من جملته باعتباره كلٌ لا يتجزأ" (٣).

وقد أكد ذلك بوجود إنجازات لعلماء أفاضل قاموا بالبحث التطبيقي للتفسير الموضوعي حول سور قرآنية، مثل ما كتبه الدكتور/ محمد عبد الله دراز حول الوحدة الموضوعية للسور القرآنية تحت عنوان (الكثرة والوحدة)، أي كثرة في قضايا السورة ووحدة في موضوعها ومحورها، وقد كان ذلك بمثابة وضع حجر الأساس للتفسير الموضوعي في السورة القرآنية، وقد مثل بسورة البقرة، ومثل ما كتبه الشيخ محمد الغزالي تحت عنوان (نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم) الأجزاء العشرة الأولى (٤).

يقول الشيخ محمد الغزالي في مقدمته: "لقد عنيت عناية شديدة بوحدة الموضوع في السورة ، وإن كثرت قضاياها ، وتأسيت في ذلك بالشيخ محمد عبد الله دراز عندما تناول سورة البقرة – وهي أطول سورة في القرآن الكريم – فجعل منها باقة واحدة

---

(١) مباحث في التفسير الموضوعي، د/ مسلم صـ ٢٣ بتصرف.
(٢) كتاب الأشباه والنظائر، للإمام مقاتل بن سليمان البلخي(١٥٠هـ) ولقد ذكر فيه الكلمات المتحدة في اللفظ واختلفت دلالتها حسب السياق القرآني، والمفردات في غريب القرآن للإمام الراغب الأصفهاني(٥٠٢هـ)، وتتبع فيه المادة القرآنية، مع بيان دلالاتها في مختلف الآيات،
وللمزيد من معرفة هذه الكتب يراجع: مباحث في التفسير الموضوعي د/ مصطفى مسلم صـ ٢٣ ، ومقدمة التفسير الموضوعي للشيخ أحمد بن تيمية ٢٠/١، ٢١، تقديم وتحقيق د/ عبد الرحمن عميرة ط دار الاعتصام بالقاهرة ١٩٩٤م.
(٣) وقفات مع نظرية التفسير الوضوعي صـ ٣٠.
(٤) يراجع السابق صـ ٣٢.

ملونة نضيدة ، يعرف ذلك من قرأ كتابه "النبأ العظيم" وهو أول تفسيره لسورة كاملة فيما أعتقد"(١).

وأرى أن هذا النوع لا يخرج عن الأنواع الثلاثة الأولى، بل يندرج تحت أحدها حسب طريقة ومنهج الباحث في تناوله، وحسب موضوع بحثه.

وأشهر هذه الأنواع على الإطلاق أولها، وذلك:

(١) لأهميته وعموم نفعه.

(٢) ولإظهاره إعجاز القرآن، ووضوح وحدته الموضوعية من خلاله وضوحًا لا خفاء معه.

(٣) ولاتجاه الكم الغفير من العلماء الكاتبين في التفسير الموضوعي في هذا اللون خاصة دون سواه.

ولعل القارئ الكريم تتطلع نفسه، وتتحرق شوقا إلى معرفة شيء عن بداية هذا اللون الموضوعي من التفسير لكتاب الله تعالى، وكيف كانت نشأته؟

وما هي مراحل تطوره وتدرجه حتى وصل إلى صورته الحالية؟

وهذا ما سيتكفل ببيانه المبحث التالي إن شاء الله تعالى:

---

(١) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم (الأجزاء العشرة الأولى)، للشيخ محمد الغزالي، صـ ٥ ،دار الشروق، ط ٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

المبحث الرابع: نشأة التفسير الموضوعي ومراحل تطوره.

أولًا: **نشأة النوع الأول** (**الموضوعي**).
يذهب كثير من العلماء والباحثين إلى أن نشأة التفسير الموضوعي كانت متأخرة عن القرون الأولى، ولم تظهر بواكيره وبوادره إلا في القرن الخامس الهجري وما بعده.

ولكني أقول: إن النواة الحقيقية، والبذرة الأولى للتفسير الموضوعي كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ثم كان لها وجود أيضا في عهد الصحابة الكرام ثم التابعين العظام ... ومن بعدهم.

وكان في هذه العصور غير مصطبغ بالصبغة الموضوعية التي وضحت معالمها في العصر الحديث وفق الضوابط العلمية التي سنّها العلماء لهذا اللون التفسيري، على ما سيُذكر فيما يلي.

(١) **الموضوعي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم**:
لقد احتوى القرآن الكريم عند نزوله على آيات، تبين أن تفسيرها في موضع آخر من القرآن الكريم، أو سينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك، مثل قوله تعالى ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ (النحل: ١١٨)، فقد جاء بيانها في قوله تعالى ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ (الأنعام: ١٤٦).

ومثل قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ (المائدة: ١)، فقد جاء تفسيرها في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة: ١٧٣)، وقوله تعالى ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ

وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (المائدة: ٣)، وقوله تعالى ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (الأنعام: ١٤٥) ([١]).

ولعل ذلك يُعتبر إشارة من الحق جل وعلا إلى ضرورة مراعاة هذه الوسيلة الأساسية من وسائل التفسير، وهي تفسير القرآن بالقرآن، فبه يُبدأ؛ حيث إن المتكلم أدرى بكلامه من غيره، وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفسر للصحابة الكرام ما أشكل عليهم فهمه، وما استغلق معرفته من آي القرآن الكريم، ولا غرو في ذلك فهو المبلغ الأول عن الله تعالى، وهو المتكفل ببيان الذكر الحكيم، مصداقا لقول الله تعالى ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٤٤).

فمن هذه الأمثلة ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من تفسيره لقول الله تعالى ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾ (الأنعام: ٥٩).

فقد أخرج الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قال ﴿ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ خَمْسٌ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ

([١]) يراجع مباحث في التفسير الموضوعي، د مسلم صـ ١٨، ١٩.

وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ (لقمان: ٣٤) (١).

ومنها ما ورد في صحيح مسلم من أنه لما نزل قول الله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ (الأنعام: ٨٢)، وشق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: أينا لا يظلم نفسه؟ فقال صلى الله عليه وسلم: ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ ﴾ (لقمان: ١٣) (٢).

فمن خلال هذين النموذجين وغيرهما يتضح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوضح للصحابة الكرام ما أشكل عليهم فهمه من الكتاب، سواء أكان ذلك ابتداءً، كما يدل عليه المثال الأول، أم إزالة لإشكال حدث عند بعضهم نتيجة عدم فهم حقيقة المراد بالنص القرآني، فلما لم تستوعب أفهام الصحابة الكرام معنى الظلم في الآية الكريمة في سورة الأنعام وحملوه على العموم، وأنه شامل لكل نوع من أنواع الظلم وشق ذلك عليهم، فسألوا عنه النبي صلى الله عليه وسلم أوضح لهم أن المراد بالظلم الشرك، وأنه من قبيل العام المخصوص وجاء تخصيصه في سورة لقمان بـ"الشرك".

وهذه النماذج وأمثالها في القرآن، والتي هي من قبيل تفسير القرآن بالقرآن كانت بمثابة النواة الأولى للتفسير الموضوعي، إذ فيها شبه جمع للآيات المتشابهة من حيث الموضوع، التي يُفسر بعضها بعضًا، أو تفسير الآيات المشكلة، أو التي يوهم ظاهرها الإشكال، بما يُزيل هذا الإشكال من الآيات التي تتناول نفس موضوعها.

(٢) **في عهد الصحابة الكرام**.

لقد كان الصحابة الكرام أوعية حافظة لعلم النبي صلى الله عليه وسلم قرآنا وسنة، وكانوا أكثر الناس فهمًا للقرآن الكريم ؛ فقد عاينوا الوحي والتنزيل، وشاهدوا الوقائع والأحداث التي نزل فيها القرآن، بالإضافة لمعاصرتهم وصحبتهم للنبي صلى الله عليه

(١) كتاب التفسير – باب ظم عج عم غج غم فج فحفخ ح(٤٣٥١)، يُراجع الصحيح ٤ / ١٦٩٣ ، ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، ط الثالثة دار ابن كثير, اليمامة - بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م.

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه ك(الإيمان) ب(صدق الإيمان وإخلاصه) ح(١٩٧) يراجع الصحيح ١/١١٤، ١١٥ ط الحلبي بالقاهرة.

وسلم، وثناء الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لهم، وقد اختص بعضهم بالتبحر والغوص في أعماق المعاني والأسرار التي تتعلق بكلام العزيز الغفار، لا سيما إذا جمع مع هذا دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك كحبر الأمة وترجمان القرآن، سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

ومن الأمثلة على ذلك، ما رواه ابن جرير بإسناده عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴾ (النازعات: ٢٥)، قال : أما الأولى فحين قال : ﴿ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي ﴾ (القصص: ٣٨)، وأما الآخرة فحين قال: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ (النازعات: ٢٤) (١).
وما رواه ابن جرير أيضًا بإسناده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴾ (غافر: ١١)، قال: هي كالتي في البقرة ﴿ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ (البقرة: ٢٨) (٢).

ومنها ما ورد أن رجلًا قال لسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: إني أجد أشياء تختلف علي، قوله تعالى ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ (المؤمنون: ١٠١)، وقوله ﴿ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ (الصافات: ٢٧)، مع قوله ﴿ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴾ (النساء: ٤٢) وقوله ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴾ (الأنعام: ٢٣).

فالآية الأولى تثبت عدم السؤال ونفي الكلام يوم القيامة، في حين أن الآية الثانية تثبت عكس ذلك.

ومن ثم أجاب سيدنا عبد الله بن عباس قائلًا: قوله ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ ﴾ في النفخة الأولى ثم ينفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ثم في النفخة الآخرة ﴿ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ

(١) تفسير الطبري ،٢٤ / ٢٠٣، تح/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
(٢) السابق ١ / ٤١٨.

﴿ يَتَسَآءَلُونَ ﴾.

أما قوله ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ وقوله ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ فكيف يتأتى معنى الآيتين معا وهم قد كتموا كفرهم وشركهم الذي كان منهم في الدنيا؟
فأجاب سيدنا عبد الله بن عباس عن ذلك فقال: إن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، فلما يرى المشركون ذلك يقولون تعالوا نقول لم نكن مشركين، فختم الله على أفواههم فتنطق أيديهم فعند ذلك عرف أن الله لا يُكتم حديثا، وعنده ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ (١).

فهذا اللون التفسيري (تفسير القرآن بالقرآن)، الذي وُفق فيه الصحابة رضوان الله عليهم، وعلى رأسهم ترجمان القرآن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن طريق إيضاح وتفسير الآيات القرآنية أو إزالة ما علق ببعض الأذهان حولها من إشكال؛ لوجود تعارض بينها وبين غيرها ، يعد نواة أولى للتفسير الموضوعي أيضًا، وقد سار الصحابة رضوان الله عليهم فيه على ما رسمه لهم النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذه الوقائع وأمثالها كما يرى الدكتور/ الخالدي (تعد مثالًا واضحًا على البدايات الصحيحة للتفسير الموضوعي في زمن الصحابة الكرام، وإن لم تكن بالطريقة المنهجية المعروفة لدينا في العصر الحديث) (٢) .

والتي سيقف البحث من خلال ما يلي على بعض معالمها وسِماتها.

(٣) **إفراد بعض علوم القرآن بمؤلفات خاصة**.

من المتفق عليه بين العلماء أن القرآن الكريم كله قد دون كتابة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكذا بعض أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد كانت حركة التدوين يسيرة وفردية في عهد الصحابة رضوان الله عليهم، ثم نشطت وازدهرت شيئًا فشيئًا، وبدأت حركة التأليف في نهاية القرن الأول وبداية الثاني، ثم بدأ علماء التفسير يخطون خطوة أكثر تقدماً إلى مفهوم هذا اللون من التفسير؛ فقاموا بجمع الآيات القرآنية التي تندرج تحت مبحث من مباحث علوم القرآن،

---

(١) الرواية بتمامها وكمالها رواها الإمام البخاري في صحيحه ك"التفسير" سورة حم السجدة (فصلت) يراجع: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني ٤١٧/٨، ٤١٨ ط الريان للتراث بالقاهرة ١٩٨٧م.
(٢) التفسير الموضوعي صـ ٣٥ بتصرف يسير.

وصنفوا كتباً مستقلة بهذه المباحث القرآنية، ويُعد أول من ألف في هذا المضمار– على حد علمنا – الإمام قتادة بن دعامة السدوسي المتوفى **(١١٨هـ)**؛ حيث ألف كتابا في **الناسخ والمنسوخ.**

ثم وُجد من بعده الإمام يحي بن سلام البصري المتوفى في حدود المائتين؛ فقد ألف في الوجوه والنظائر.

وألف أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى **(٢٠٩هـ)** كتابا في **مجاز القرآن.**

وألف أبو عبيدة القاسم بن سلام المتوفى **(٢٢٤هـ)** في **الناسخ والمنسوخ** أيضًا.

وألف علي بن المديني المتوفى **(٢٣٤هـ)** كتابا في **أسباب النزول** (١) ... وهكذا توالت التآليف في أنواع علوم القرآن المتعددة.

وعند النظر في هذه المؤلفات التي تناولت أنواعًا من أنواع علوم القرآن، نجد تشابهًا بينها وبين التفسير الموضوعي؛ حيث يتناول المؤلف فيها الآيات التي تتعلق بنوع من أنواع علوم القرآن بالجمع والدراسة.

يُضاف إلى ذلك ما قام به الفقهاء من جمع الآيات التي تتعلق بموضوع من موضوعات الأحكام القرآنية، مثل: الوضوء والتيمم تحت كتاب الطهارة، والصلاة وما يتعلق بها تحت كتاب الصلاة، والزكاة وما يتعلق بها تحت كتاب الزكاة ... وكذا في سائر أبواب الفقه من العبادات والمعاملات ... إلخ.

ومن أمثلة ذلك:

(١) كتاب (**أحكام القرآن**) للإما أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (**المتوفى** : **٣٢١هـ**).

(٢) كتاب (**أحكام القرآن**) للإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي (**المتوفى**: **٣٧٠هـ**).

(٣) كتاب (**أحكام القرآن**) للإمام علي بن محمد بن علي، أبي الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهرَّاسي الشافعي (**المتوفى**: **٥٠٤هـ**).

(٤) كتاب (**أحكام الـ قرآن**) للقاضي محمد بن عبد الله أبي بكر بن العربي المالكي (**المتوفى**: **٥٤٣هـ**).

وكل ذلك هو لونٌ من ألوان التفسير الموضوعي في مراحله الأولى.

---

(١) للوقوف على معرفة المزيد من هذه المؤلفت ومؤلفيها يراجع:ك التفسير والمفسرون د/ محمد حسين الذهبي ١٥٠/١ ومقدمة التفسير الموضوعي لابن تيمية تقديم د/ عميرة صـ٢٠ ، والتفسير الموضوعي د/ الخالدي صـ٣٦ ... وغيرها.

وعند النظر في هذه المؤلفات التي تناولت أحكام القرآن الكريم، نجد تشابهًا بينها وبين التفسير الموضوعي؛ حيث يتناول المؤلف فيها آيات الأحكام التي تتعلق بموضوع من موضوعات الأحكام، شأنه في ذلك شأن المصنفين في أنواع علوم القرآن.

ومن خلال هذه التصانيف يتحقق لدينا أن البواكير الأولى للتفسير الموضوعي كانت موجودة لدى الأقدمين من علمائنا الأجلاء رحمهم الله تعالى، لكن لا يمكننا أن نصنفها ضمن تصانيف الموضوعي ؛ لأنها لم تصبغ بالصبغة العلمية المنهجية للتفسير الموضوعي لذا عُدت من قبيل البوادر والبواكير.

السبب في عدم اهتمام الأقدمين بهذا اللون من التفسير الموضوعي:

لعل السبب في ذلك يكمن في أمرين:

الأول: أن التفسير الموضوعي ينحو بمنهجه ناحية الدراسة المتخصصة، التي تهدف إلى موضوع واحد، بعد استقصاء آياته وجمعها دون ما عداه ثم الانتقال إلى غيره ... وهكذا، وهم لم يكونوا سالكين هذا السبيل؛ لأن مبدأ التخصص عندهم لم يكن سائدًا ولا متجهًا إليه.

الثاني: أن حاجتهم لم تكن ماسة لدراسة موضوعات القرآن الكريم على هذا النحو، فهم حفاظ للقرآن الكريم، ودرايتهم بالثقافة الإسلامية شاملة وعميقة؛ ولهذا فلديهم القدرة على ربط ما تُفيده الآيات المتعلقة بموضوع معين، مع ما يوضحها من المعلومات الخاصة بالموضوع نفسه (١).

وظل الأمر على ذلك ردحًا من الزمن حتى تبنت كلية أصول الدين بالقاهرة هذا اللون التفسيري للقرآن الكريم فجعلته ميدانًا فسيحًا يرتاده كثير من الباحثين للتسجيل في درجتي الماجستير والدكتوراه بقسم التفسير؛ وذلك لخدمة القرآن الكريم وإبراز وحدته الموضوعية، وتبعتها في ذلك أقسام التفسير وعلوم القرآن بكليات أصول الدين، ثم بكليات الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر، وغيرها من الجامعات الأخرى.

وقد وجدت عدة عوامل جعلت الحاجة ماسة إلي مثل هذا اللون من التفسير في العصر الحاضر، ومن ثم دفعت العلماء إلى الكتابة فيه، **ومن هذه العوامل ما يلي**:

١ ــ اتسام هذا العصر بشهوده ألوانًا من التآمر على الإسلام والمسلمين.

---

(١) يراجع البداية في التفسير الموضوعي، د/ عبد الحي الفرماوي، صـ٤٢، ٤٣، بتصرف، نشر دار الطباعة الإسلامية بالقاهرة ط السابعة ٢٠٠٥م.

٢ – الهجوم الشرس لأعداء الإسلام من غير المسلمين على الإسلام والمسلمين.

٣ – غربة الأجيال الجديدة من المسلمين – وخاصة الشباب – عن مبادئ الإسلام وحقائق القرآن.

٤ – انتشار أفكار مناقضة للقرآن وتعاليمه بين المسلمين.

٥ – وجود حركات ودعوات هدامة، غرضها الأصيل النيل من الإسلام في منبعيه الأصيلين قرآنًا وسنة، والصد عن سبيل الله تعالى (١).

فهذه العوامل وغيرها دفعت العلماء والباحثين إلى الإقبال بنَهَم على القرآن الكريم، وإبراز أوجه إعجازه وبيانه، وصلاحه لكل زمان ومكان، فألفوا في كثير من الموضوعات التي تخدم هذه الناحية الإعجازية للقرآن الكريم، فتوالت التآليف والتصانيف التي تهتم بموضوع معين ورد في القرآن الكريم، وتسلط الأضواء على جميع جوانبه، وتكشف جميع ما يتعلق به.

بعض المصنفات الموضوعية في العصر الحديث:

١ – الربا في القرآن الكريم للشيخ / أبي الأعلى المودودي.

٢ – المرأة في القرآن الكريم أ/ عباس محمود العقاد.

٣ – الألوهية والرسالة في القرآن الكريم أ/ محمد السماحي.

٤ – الإنسان في القرآن الكريم د/ أحمد مهنا.

٥ – ظاهرة النفاق في القرآن د/ عبد الرحمن حبنكة الميداني ... وغيرها (٢).

ومما يجدر التنويه إليه في هذا المقام أن بعض الباحثين ذكر أنه ينبغي أن يُفرق بين الدراسات القرآنية وبين دراسات التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، فعد ما سبق ذكره من مصنفات في العصر الحديث من قبيل الدراسات القرآنية؛ لأنها لا تسير وفق الخطة المنهجية التي رسمت للتفسير الموضوعي، فيقول في ذلك: (هذه الدراسات القرآنية ليست نماذج للتفسير الموضوعي، ولا تلتزم بالمنهج الموضوعي للتفسير الموضوعي، ولهذا تعتبر دراسات قرآنية نافعة، تبحث عن بعض موضوعات،

---

(١) يراجع: التفسير الموضوعي، د/ الخالدي صـ٣٧ بتصرف كبير.
(٢) للمزيد من معرفة التصانيف، يراجع: البداية د/ الفرماوي، صـ٥٨، والتفسير الموضوعي، د/ الخالدي، صـ٣٧، ومقومات الحياة من القرآن د/ إبراهيم خميس، صـ٣١ .. وغيرها.

وتعرض بعض حقائق وتوجيهات) (١).

لكني أقول: يكفي هؤلاء الذين أسهموا بدراسات تفسيرية حول القرآن الكريم حوز قصب السبق في هذا المضمار، ولو لم يكن لهم إلا هذا الشرف لكفى، وحسبهم أنهم أدلوا بدلوهم نحو القرآن الكريم

يقول الدكتور/ عبد السلام حمدان: "حتى لا نجحف بحق إخواننا الذين كتبوا في دراسات وقضايا وأحكام قرآنية إنهم بلا شك كانوا أقرب ما يكونون من التفسير الموضوعي وإن لم يقصدوا به هذا المصطلح ذاته، فطريقتهم في جمع الآيات حول موضوع واحد والتنسيق بينها لتصبح بحثاً متكاملاً له هدفه وغايته هي أبرز خطوة في منهجية التفسير الموضوعي، فهم قد ساروا في الدرب حتى أوشكوا على النهاية، وهم الذين طبقوا قبل أن يقعدوا ويؤصلوا، بل إن سيرهم وجهدهم العملي التطبيقي هو الذي سارع في إنضاج هذا العلم وفي إعلان ميلاده المتمثل في وضع ضوابط وقواعد وأسس تمثل نظرية هذا اللون من التفسير، فمن حيث التطبيق فالسابقون هم السابقون، ومن حيث المصطلح والتأصيل فالمعاصرون هم المؤصلون، ولعلي بهذه النتيجة اختلف مع السابقين ممن كتبوا في نظرية التفسير الموضوعي ، ولكن لكلٍّ مجتهد نصيب، والله الهادي إلى سواء السبيل (٢).

ومن الدراسات الموضوعية التي تُعنى بالدراسة النظرية التأصيلية للتفسير الموضوعي في العصر الحديث:

(١) التفسير الموضوعي للقرآن الكريم – للدكتور أحمد الكومي، والدكتور/ أحمد قاسم.

وهو مذكرات كتبها المؤلفان لطلاب الدراسات العليا في كلية أصول الدين في جامعة الأزهر الشريف، ويعتبر أول المؤلفات المعاصرة في التفسير الموضوعي للقرآن؛ حيث تناولا فيه المقصود بالتفسير الموضوعي وأنواعه، وقاما بضرب أمثلة تطبيقية عليه، وللأسف فنُسخُه قليلة ونادرة؛ لعدم طباعتة بعد ذلك، وهو جدير بأن يطبع طبعة جديدة؛ حفظًا لسبق المؤلفين.

(٢) البداية في التفسير الموضوعي (دراسة منهجية موضوعية) للدكتور/ عبد الحي الفرماوي.

وهو كتاب عظيم الشأن في هذا الباب، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنه أول ما أُلف

---

(١) التفسير الموضوعي، د/ الخالدي صـ٣٧ بتصرف.
(٢) وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي، صـ١٧.

في هذا الباب، ولعلهم حسبوا هذا من اسمه (البداية)، والصواب أن الأسبقية لكتاب الدكتور/ الكومي السابق.

(٣) المدخل في التفسير الموضوعي للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد.

وهو من الكتب القيمة جدًا في التأصيل للتفسير الموضوعي للقرآن، ومؤلفه من أساتذة هذا اللون من ألوان التفسير الكبار الذين درسوه في الأزهر لسنوات طويلة، لكنه لم ينتشر انتشارًا واسعًا؛ حيث يجد الباحثون مشقة في الحصول عليه، وهو الآن موجود ومتاح على شبكة الإنترنت بصيغة pdf.

(٤) مباحث في التفسير الموضوعي للدكتور مصطفى مسلم.

يعتبر هذا الكتاب من الكتب القيمة في التأصيل للتفسير الموضوعي، ومؤلفه له عناية تامة بهذا الأمر، وله نظرات دقيقة في معظم مسائل هذا النوع من أنواع التفسير، وكتابه حظي بقبول واسع، وطبع عدة طبعات في دار القلم وغيرها.

وقد قامت كثير من الجامعات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي، وأقسام الدراسات الإسلامية في جامعات أجنبية بتقرير هذا الكتاب على طلابها.

(٥) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق للدكتور صلاح الخالدي.

وهو كتاب دراسي قيم، صنّفه مؤلفه لطلابه في الدراسات العليا، وقد تناول فيها أبرز مسائل التفسير الموضوعي التأصيلية وضرب أمثلة على ذلك (١).

وقد توالت التصانيف في عصرنا الحاضر حتى شملت تقريبًا جُلّ موضوعات القرآن الكريم، بل قامت بعض الجامعات بعمل مشاريع بحثية خاصة بها تُعنى بتناول موضوعات القرآن الكريم وفق ضوابط الدراسة الموضوعية، مثل المحاولة التي قام بها قسم القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود بالتعاون مع مركز تفسير للدراسات القرآنية لإعداد كتاب يجمع كل موضوعات القرآن ويتناولها بمنهج علمي متوسط، فقاموا بتأليف موسوعة علمية بعنوان (موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم) (٢).

---

(١) يُراجع: مقال بعنوان: عرض لأبرز وأهم الكتب المطبوعة في أنواع وأقسام علوم القرآن (التفسير، أسباب النزول، الإعجاز العلمي... إلخ) - للشيخ/ عبدالرحمن الشهري، موقع ملتقى أهل الحديث https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=339625 تم الاقتباس منه في ١٤ / ٧ / ٢٠١٨م، في تمام الساعة ٠٤:٣٩ مساء.

(٢) السابق في التوقيت نفسه.

ثانيًا: نشأة النوع الثاني (الموضعي).

لا شك أن البدايات كانت كسابقه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم الصحابة تفسير جميع سور القرآن الكريم سواء بفطرتهم أو سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم أو ما شاهدوه من الوقائع والتنزيل، لكنهم لم يحتاجوا في ذلك الوقت إلى التفسير الموضوعي للسورة وإن لم نستبعده عليهم، لكنه إن وجد فلم يصل لمنهجية هذا النوع كما هو معلوم، وقد عني بعض المفسرين ممن صنفوا في تفسير القرآن العظيم بالإشارة إلى بعض أهداف السور القرآنية خاصة القصيرة منها، وبيان بعض المناسبات بين السور وبين مقاطع الآيات **كالإمام الرازي (المتوفى ٦٠٦هـ)**، في تفسيره المسمى: (بالتفسير الكبير: أو مفاتيح الغيب)، **والإمام البقاعي (المتوفى ٨٨٥هـ)** في كتابه نظم الدرر في تناسب الآي والسور، **والشيخ نظام الدين (في كتابه نظام القرآن).**

أما في العصر الحديث فيُمكن أن يُمثل له بما كتبه الأستاذ/ إبراهيم زيد الكيلاني في كتابه (تصور الألوهية كما تعرضه سورة الأنعام) وكتابه (معركة النبوة مع المشركين) أو (قضية الرسالة كما تعرضها سورة الأنعام وبينها القرآن) (١).

هذا وكسابقه وجدت مشاريع بحثية لتأليف موسوعات موضوعية تتناول سور القرآن الكريم من الناحية الموضوعية، منها (التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم) إعداد مجموعة من المتخصصين في القرآن وعلومه بإشراف الدكتور/ مصطفى مسلم، وقد أشرف على هذا المشروع لجنة علمية من مجموعة الكتاب والسنة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة وهم: أ.د/ مصطفى مسلم رئيساً، أ.د/ عيادة الكبيسي عضواً، أ.د/ أحمد البدوي عضواً، أ.د/ عبدالله الخطيب عضواً، د/ محمد عصام القضاة عضواً، د/ قاسم سعد عضواً، د/ عواد الخلف عضواً، وشارك في كتابة هذا التفسير باحثون متخصصون من أنحاء العالم الإسلامي سردت أسماؤهم كاملة في أول الجزء الأول من الكتاب بلغ عددهم واحداً وثلاثين متخصصاً، وقد قدم الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم للكتاب بمقدمة أشار فيها إلى أن هذه الفكرة تراوده منذ أكثر من خمسة وثلاثين سنة منذ بدأ يدرس مقرر التفسير الموضوعي لطلاب كلية أصول الدين بالرياض، حتى يسر الله تحققه بإشراف مجموعة الكتاب والسنة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة، ووافق مدير جامعة الشارقة الأستاذ الدكتور/ إسماعيل البشري على طباعته وتكفلت الجامعة بنفقاته.

أما منهج البحث فقد بينه الدكتور/ مصطفى مسلم في مقدمته قائلًا: "ولما كانت مناهج الباحثين مختلفة في تفسير السورة تفسيراً موضوعياً، فقد رأت المجموعة أن تدعو إلى ندوة من أهل الاختصاص للتشاور حول الخطوات المنهجية والخطوات التنفيذية

(١) يراجع مباحث في التفسير الموضوعي، د/ مسلم صـ ٢٩.

لإبراز هذا المشروع، وبعد دراسة مستفيضة من المجتمعين حول الخطوات المنهجية، تم الاتفاق على (مبادئ للسير في مشروع التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم)، حيث يبدأ المفسر بحثه باتباع المنهج التالي:

أولاً: بين يدي السورة.

تذكر في هذه المقدمة الأمور التالية:

أ - اسم السورة أو أسماؤها إن كان لها أكثر من اسم.

ب- فضائل السورة إن وجدت.

ج - مكية السورة أو مدنيتها.

د - عدد آيات السورة والاختلاف بين القراء في العد وسببه.

هـ - محور السورة (المحور هو الأمر الجامع الذي يجمع موضوعات السورة وجزئياتها في نسق واحد).

و - المناسبات في السورة، وأهمها الأنواع الستة مع مراعاة عدم التكلف في ذلك:

١- المناسبة بين اسم السورة ومحورها.

٢- المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها.

٣- المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها.

٤- المناسبة بين مقاطع السورة ومحورها.

٥- المناسبة بين مقاطع السورة بعضها مع بعض.

٦- المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها.

وتذكر المناسبة بين كل مقطع والمحور في نهاية كل مقطع أثناء تفسير السورة ، وإن أراد الباحث أن يتعرض للمناسبة بين المقطع والمقطع السابق له ، فمكان ذلك بداية كل مقطع.
ملحوظة: يكون التعرض للفقرات السابقة في التمهيد أو المقدمة أو ما سميناه: بين يدي السورة بإيجاز من صفحتين إلى خمس صفحات حسب الحاجة.

ثانياً التفسير الإجمالي للمقطع:

يفسر كل مقطع بعد وضع عنوان له تفسيراً إجمالياً يراعى فيه الأسلوب الأمثل في تفسير القرآن وهو:

أ - تفسير القرآن بالقرآن والإشارة إلى الآيات التي لها علاقة مباشرة بالمقطع .

ب- تفسير المقطع بالأحاديث النبوية الشريفة التي تلقي ضوءاً على ذلك .

ج - في القضايا العقدية (الأسماء والصفات) يلتزم رأي السلف، وإن كان هناك إجماع على التأويل يورد في ذلك قول أئمة التفسير، على سبيل المثال: الطبري، ابن كثير، أئمة المذاهب الأربعة، وابن تيمية.

د - في القضايا الفقهية يكتفى بالرأي الراجح الذي يراه الباحث مع الأدلة التي جعلته يرجح هذا القول دون سواه.

هـ - تجتنب القضايا اللغوية أو البلاغية، وإن كان هناك ضرورة لذكر بعضها لارتباطها الوثيق بالمعنى فيكون ذلك في الهامش، وكذلك القراءات المتواترة التي لها تأثير في توجيه معنى الآيات.

و - عند تكرار الموضوعات في بعض مقاطع السور كالقصص وغيرها يفسر المقطع في موضعه بما يتناسب مع محور السورة التي ذكر فيها وجو السورة العام من الإيجاز أو الإطناب.

ز - الربط بين هدايات الآيات وواقع الأمة، والرد على الشبهات التي تثار حول القرآن الكريم والسنة النبوية، وعظمة التشريعات الإسلامية ، وصلاحيتها لكل زمان ومكان، كل ذلك عند ورود مناسباتها في تفسير الآيات المتعلقة بذلك.

ح - الاقتصار على الحقائق العلمية عند تفسير الآيات الكونية وتجنب النظريات العلمية.

ثالثاً : الهدايات المستنبطة من المقطع وتشمل:

أ- القضايا العقدية.

ب - الأحكام الشرعية.

ج - الأخلاق الإسلامية والآداب الشرعية.

د - الجوانب التربوية .

رابعاً : مبادئ وقواعد عامة:

أ - توضع الآية بين قوسين مزهرين ثم يذكر اسم السورة ورقم الآية المستشهد بها بعد الآية مباشرة وليس في الحاشية.

ب - تخريج الحديث بذكر اسم المصدر ورقم الحديث.

ج - الالتزام بالأحاديث الصحيحة والحسنة في التفسير وأسباب النزول وغيرها.

د - توثيق الأقوال والمنقولات بالإشارة إلى اسم الكتاب ثم المؤلف ثم الجزء والصفحة.

هـ - ترقيم الحواشي يكون بأرقام متسلسلة لكل صفحة على حدة.

و - الالتزام الكامل بالفواصل والنقط وإشارات الاستفهام والتعجب وسائر علامات الترقيم.

ز - إن كان للسورة سبب نزول واحد يذكر في فقرة بين يدي السورة ، أما إذا وجد أكثر من سبب نزول لآيات متعددة في السورة فيشار إليها في فقرة بين يدي السورة وتترك تفاصيلها إلى المقاطع الخاصة.

ح - يتراوح حجم التفسير الإجمالي للمقطع مع الهدايات من (٥-٧) صفحات لكل صفحة من المصحف" (١).

وقد شكلت لجنة لمتابعة المشروع، وكان مقررا له أن ينتهي خلال عامين، لكن واجهته بعض العقبات، من أهمها:

أولاً : اعتذار بعض المستكتبين.

ثانياً : عدم الالتزام بالخطة المرسومة للسير في المشروع .

ثالثاً : التفاوت في الأساليب .

ومع اختلافنا مع أصحاب المشروع في بعض خطوات المنهج إلا أن هذه الموسوعة وهذا المشروع – كما يرى المشرف عليها - بهذه الصورة يُعد سابقة لا مثيل لها، لعلها تفتح الآفاق أمام أهل العلم من المتخصصين في التفسير وعلوم القرآن وقد صدر

---

(١) يراجع مقدمة التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماءالتفسير وعلوم القرآن بإشراف د/ مصطفى مسلم، ج١ صـ ب وما بعدها، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة.

في عشرة مجلدات أنيقة الطباعة والإخراج.

ثالثًا: **نشأة النوع الثالث** (**الدلالي**).

تعتبر بدايات هذا النوع موجودة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، حيث ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قام ببيان بعض الألفاظ ومدلولاتها في القرآن الكريم بموضع آخر ذُكر فيه هذا اللفظ، مثل ما ورد في صحيح مسلم من أنه لما نزل قول الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام: ٨٢)، وشق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: أينا لا يظلم نفسه؟ فقال صلى الله عليه وسلم: ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه ﴿ يَـٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ ﴾(لقمان: ١٣) (١).

فهذا يُعتبر إشارة لهذا النوع، ومن باب البوادر والبواكير.

ثم لما نشطت حركة التأليف في شتى العلوم كان له نصيب وافر، حيث اهتم به العلماء، تحت أنواع من علوم القرآن ككتب غريب القرآن والأشباه والنظائر، إلا أن هناك فرقًا بينها وبين الدراسات المنهجية الحديث، فالأولى تُعنى ببيان مدلول اللفظة حيث وردت، أما الثانية فتُعنى بالإضافة لذلك بربطها ببعضها بما يُشبه النوع الأول (الموضوعي).

وتعد كتب غريب القرآن(٢) وكتب الأشباه والنظائر(٣) والمعاجم اللغوية(٤) والمعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن(٥) هي منطلق هذه الدراسة والعمدةُ في إحصاء استقراء الاشتقاقات والتصريفات للمصطلح القرآني المراد تفسيره تفسيراً موضوعياً(٦).

---

(١) الحديث سبق تخريجه.
(٢) مثل كتاب: (المفردات في غريب القرآن)، للإمام الراغب الأصفهاني .
(٣) مثل كتاب: (إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن)، للخطيب الدامغاني، وكتاب: (الأشباه والنظائر في القرآن الكريم) للإمام مقاتل بن سليمان البلخي، وكتاب : (كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر) للإمام ابن العماد.
(٤) مثل كتاب: (معجم مقاييس اللغة) للإمام أبي الحسين أحمد بن فارس، وكتاب: (معجم لسان العرب)، للإمام ابن منظور، وكتاب: (عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ)، للإمام السمين الحلبي، وكتاب: (الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، للإمام أبي البقاء.
(٥) مثل كتاب: (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم)، للعلامة محمد فؤاد عبد الباقي، وكتاب: (معجم ألفاظ القرآن الكريم)، أعدته لجنة من كبار العلماء بالقاهرة، وكتاب: (معجم الأدوات والضمائر في القرآن)، لإسماعيل عمايرة وفؤاد السيد، وهو مكمل ومتمم لمعجم عبد الباقي.
(٦) يراجع: مباحث في التفسير الموضوعي، للدكتور/ مصطفى مسلم صـ ٢٣، والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، للدكتور صلاح الخالدي صـ ٥٢.

المبحث الخامس: من فوائد التفسير الموضوعي وثماره الزكية.

إن للتفسير الموضوعي والبحث فيه فوائد جمة، يعظم جناها ويكثر نفعها، وتزكو ثمارها، **وهي تتلخص فيما يلي**:

أولًا: إظهار الإعجاز القرآني من خلال التفسير الموضوعي ، في كل جوانب القرآن العقدية والتشريعية والخلقية (١).

ثانيًا: دحض أباطيل المستشرقين الذين عموا وصموا عن رؤية الحق ، وسماع صوته ، فاتجهوا بباطلهم نحو القرآن وادعوا عدم وجود تكامل موضوعي فيه ، وقد نشأ هذا الزعم لديهم من قصر أنظارهم عن رؤية الإعجاز في النظم القرآني ، وأسرار ترتيبه ، فكان لابد من إبراز هذا التكامل ليحق الله الحق بكلماته ويبطل الباطل ولو كره المجرمون (٢).

ثالثًا: هذا اللون من التفسير يتفق مع روح العصر الحديث الذي يطالبنا بأن نستخرج للناس أحكاما عامة للمجتمع الإسلامي ، مصدرها القرآن الكريم ، في هيئة مواد وقوانين مدروسة يسهل تناولها والانتفاع بها رجاء أن يُهرع إليها من فتن من أبناء جلدتنا بالقوانين الوضعية وتحكيمها مهما اختلفت مصادرها ، وتباعدت عن ديننا منابعها ومواردها (٣).

رابعًا: مواكبة التطور العلمي المعرفي في هذا العصر ، حيث شهد هذا العصر توجه العلماء والباحثين إلى مزيد من التخصص الدقيق ، والتعمق المنهجي في علم من العلوم ، فلم يعد المفكرون اليوم مهتمين بتناول المسائل العلمية بصورة فردية منعزلة عن مثيلاتها ؛ لذا فقد أقبل المفكرون المسلمون على القرآن ، ونظروا فيه هذه النظرة الموضوعية لاستخراج كنوزه ودرره (٤). بصورة متكاملة في موطن واحد لا يحتاج معه القارئ إلى البحث عن تكملة للموضوع في مواطن أخرى وهذه هي مهمة التفسير الموضوعي العظمى.

خامسًا: من أهم الفوائد أيضا : إثراء المادة التفسيرية – للقرآن الكريم – وبيان مدى

(١) التفسير الموضوعي، د/ الخالدي، صـ ٣٧ بتصرف.
(٢) مقومات الحياة ،صـ ٢٩ بتصرف.
(٣) البداية د/ الفرماوي، صـ ٥٤ بتصرف شديد.
(٤) التفسير الموضوعي، د/ الخالدي صـ ٤٧.

عمقها وشموليتها ، الأمر الذي يثري المعلومات حول الموضوع الواحد ، وتبرز معالمه.

ومثل هذا العمق لا يتيسر للباحث في أي نوع من أنواع التفاسير سواء التحليلي أم الإجمالي أم المقارن ، بل التفسير الموضوعي هو الأسلوب الأمثل لبحث مثل هذه الأمور (١).

سادسًا: أن هذا اللون من التفسير يمكن الداعية سواء أكان خطيبا أم محاضرا أم باحثا من الإلمام بأبعاد الموضوع من مختلف زواياه ، بالقدر الذي يمكنه أن يذكر للناس أحكامه وجزئياته بطريقة وافية واضحة ومقنعة ، وأن يكشف لهم أسراره وغوامضه بدرجة تستريح معها قلوبهم وعقولهم.

سابعًا: هذا اللون أيضا يمكن الباحث من الوصول سريعا إلى هدفه المنشود دون تعب أو مشقة بين كتب التفسير التحليلي الأخرى ، ويدرك الباحث معه الوصول إلى مبغاه من أقرب طريق وأيسر سبيل (٢).

ثامنًا: التفسير الموضوعي هو الوسيلة المنهجية العلمية للارتفاع بمستوى التفكير العلمي الموضوعي عند الباحثين ، فمن خلال البحث في موضوعات القرآن يقوم الباحث برياضة عقلية ، يشحذ بها ذهنه ، ويمرن بها عقله ، ويدرب بها نظره ، وبذلك يرتقي في عالم التفكير الموضوعي ، فيكون مفكرا قرآنيا ، وباحثا موضوعيا.

تاسعًا: التفسير الموضوعي أساس التأصيل القرآني للعلوم والمعارف الإنسانية والحضارية ، التي يقبل عليه المثقفون كعلم النفس ، والاجتماع ، والتربية ، والثقافة والحضارة ... وغيرها (٣).

عاشرًا: يوقفنا التفسير الموضوعي على مقاصد التنزيل ، وتوضيحها حتى تبرز مجسدة للمسلم ، وتعمق مفاهيمه لدى القلوب النقية والفطر السليمة ...

هذا ولو ظللت أستقصي لطال بنا المقام ؛ وذلك لكثرة الفوائد وعظم المنافع والعوائد ، ولا غرو في ذلك فالقرآن سيظل ينبض بالجدّة والحيوية ، أبد الآبدين ودهر الداهرين ؛ لأنه كلام رب العالمين ، وصدق الله حين قال : ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ

(١) مباحث في التفسير الموضوعي، د/ مسلم صـ ٣١ بتصرف.
(٢) البداية، د/ الفرماوي صـ ٥٤، ٥٥، بتصرف شديد.
(٣) لمزيد من الوقوف على هذه الفوائد يراجع: مباحث في التفسير الموضوعي، د/ مسلم صـ ٣٠ وما بعدها، ومقومات الحياة، د/ خميس صـ ٢٩ ، والبداية، د/ الفرماوي صـ ٥٣، والتفسير الموضوعي، د/ الخالدي صـ ٤٨ وغيرها.

ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ (الكهف: ١٠٩).

وبعد معرفتنا لبعض الفوائد والثمار التي يمكننا أن نجنيها من دراستنا لمثل هذا اللون التفسيري الجديد للقرآن الكريم ، تتطلع نفوسنا الآن إلى جزئية في غاية الأهمية ألا وهي كيفية الكتابة والإعداد للبحث الموضوعي ... **وهذا ما يتكفل البحث ببيانه فيما يلي:**

المبحث السادس: خطوات البحث في التفسير الموضوعي لموضوع واحد.

تتلخص هذه الخطوات في عدة نقاط يبرزها البحث فيما يلي :

أولا: استحضار النية الطيبة في أعمالنا عامة ، وفيما نكتب خاصة ، لا سيما وأن أمثال هذه الأبحاث تتعلق بأشرف الألفاظ ، وأطيب الكلام ، ألا وهو القرآن ، فالنية الصالحة تجعل العمل موفقا ، كثير النفع ، عظيم الفائدة ، مصيبا للحقيقة أو مقاربا منها.

ثانيا: يتم بعد ذلك اختيار موضوع معين من الموضوعات التي تناولها القرآن بالذكر ، ويُنتقى انتقاء دقيقا بحسب احتياج المجتمع له ، ولا سيما إذا كان جديدا لم يُطرق من ذي قبل ، فعندئذ يكتسب الموضوع جدة وأصالة ويلقى انتشارا وقبولًا إن شاء الله تعالى.

ثالثا: جمع الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع من جميع جوانبه المختلفة ، وزواياه المتباعدة ، ونبدأ بالآيات المصرحة بلفظ الموضوع أو مشتقاته ثم الآيات التي ذكرت نقيض الموضوع أو ضده أو مرادفه.

ويعين الباحث في جمع الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع واحد مؤلفات منها:

(١) كتاب (**تفصيل آيات القرآن الكريم**) للمستشرق الفرنسي / جول لابوم .. وهو مطبوع متداول بالمكتبات.

(٢) كتاب (**المستدرك**) وهو استدراك للكتاب السابق وملحق به للمستشرق / إدوار مونتيه ، وترجمهما إلى العربية الشيخ العلامة / محمد فؤاد عبد الباقي طيب الله ثراه ، وأسكب على جدثه شآبيب الرحمة والمغفرة.

(٣) كتاب (**تبويب آي القرآن من الناحية الموضوعية**) لأحمد إبراهيم مهنا ، وهو دراسات نقدية موضوعية لكتاب (**جول لابوم**) السابق ومتممة له.

(٤) كتاب (**تفصيل موضوعات القرآن الكريم في الآيات المتوافقة**) للشيخ/ محمد عبد الله الجزار.

(٥) وأشهر الكتب على الإطلاق وأغزرها مادة كتاب (**المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**) للشيخ البحاثة/ محمد فؤاد عبد الباقي ، وهو موسوعي حقا ، حيث رتب جميع كلمات القرآن الكريم بعد إرجاعها إلى أصولها ترتيبا معجميا على حسب حروف

المعجم .. إلا بعض الكلمات والتي نبه عليها في بداية المعجم .. وهو مطبوع متداول وذائع الصيت بين أهل العلم.

... وغير هذه المراجع الكثير والكثير مما تذخر به دور الكتب في شتى أرجاء المعمورة عامة ، وبلد أزهرنا خاصة ، جعلها الله تعالى سخاء رخاء ، وسائر بلاد المسلمين.

رابعا: وبعد جمع الآيات من مظانها يقوم الباحث بترتيبها حسب النزول – قدر المستطاع – فيقوم بتمييز المكي فيقدمه على المدني ، فإذا ما روعي الترتيب حصلت فوائد عظيمة ، على رأسها معرفة السابق واللاحق ، والإفادة منه في باب النسخ – خاصة إذا كان الموضوع يتعلق بحكم من الأحكام الفقهية – فيُحكم على المتقدم بأنه منسوخ والمتأخر ناسخ له ، أو مخصص للعام المتقدم ، أو مبين للمبهم .. ونحو ذلك.

ومما يفيد في هذا الشأن كتابا (**البرهان في علوم القرآن ، والإتقان في علوم القرآن**) (1).

خامسا: ثم بعد ذلك يقوم الباحث بتقسيم الموضوع من خلال الآيات إلى أبواب أو فصول ثم إلى مباحث ومطالب منتزعة من صميم المعاني المقررة في الآيات ، ويربط بينها برباط علمي وثيق ، ليجعل من الموضوع وحدة واحدة ، مسلسلة ومرتبة ترتيبا فنيا يتفق مع النمط القرآني ، فيقدم ما يتعلق بذات الله قبل كل شيء ، ثم الأصول على الفروع ، والفروض على ما عداها ... وهكذا.

سادسا: يقوم الباحث بدراسة هذه الآيات دراسة وافية بالرجوع إلى كتب التفسير التحليلي والتعرف على أسباب نزولها – إن وجدت – وإلى دلالات الألفاظ واستعمالاتها ، والربط بين الألفاظ في الجملة وبين الجمل في الآية ، وأوجه المناسبة بين الآيات بعضها البعض لإبراز إعجاز القرآن في اتصاله وترابطه.

سابعا: التفسير الموضوعي لا يستغني عن معرفة السنة فهي تبين بعض ما أجمل في القرآن وتفصله ، وتخصص بعض ما كان عاما ، وتقيد ما كان مطلقا لقوله تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٤٤).

فعلى الباحث الكريم أن يجمع الصحيح من السنة الشريفة المتناولة للموضوع الذي يدرسه ويبحث فيه ، وكذلك يؤيده بما صح من أقوال الصحابة والتابعين في هذا الشأن.

---

(١) الكتاب الأول، للإمام بدر الدين الزركشي تـ (٧٩٤هـ)، والثاني للإمام جلال الدين السيوطي تـ (٩١١هـ) وكلاهما مطبوع متداول بين اهل العلم في مصر وغيرها من ديار الإسلام.

ثامنا: لابد للباحث في التفسير الموضوعي أن يكون على صلة وثيقة بعلوم اللغة وما يتعلق بها لبيان مدلولات الألفاظ اللغوية والوجوه النحوية والبلاغية والأحكام الفقهية .. وغير ذلك لكن بشيء من الإيجاز دون الحشو والاستطراد الذي يذهب برونق الموضوع وبهائة.

تاسعا: على الباحث في التفسير الموضوعي إدراك المهمة الأساسية للقرآن الكريم ، وعدم إغفال مقاصده وأهدافه ، حيث عن مهمة القرآن العظمى الهداية والإرشاد ، وإلى جانب ذلك فهو كتاب تشريع وأحكام ، وتربية وتوجيه ، وتهذيب وسلوك ، ورد للباطل ودحض للشبهات والأباطيل فعلى الباحث أن يجعل تفسيره الموضوعي بيانا لهذه المهمة ، وتحقيقا لهذه المقاصد والاهداف القرآنية السامية.

عاشرا: على الباحث أيضا: مراعاة خصائص القرآن الكريم البيانية والأسلوبية والتعبيرية ، وخصائصه الفكرية والموضوعية ، وإلا اختلت لبنات بحثه ، واضطربت لديه نتائجه وثمراته.

ومن هذه الخصائص:

(١) استعمال القرآن للفظ على حقيقته ، ولا يُقال بالمجاز إلا عند تعذر الحقيقة مع قوة الدليل.

(٢) لا تكرار بلا فائدة في القرآن الكريم. **(٣)** لا زيادة في أحرف القرآن وكلماته.

(٤) القرآن أصل للأصول العلمية كلها **(١)**.

فعلى الباحث مراعاة هذه الخصائص العامة وغيرها في القرآن للقرآن ، وعدم مخالفتها حتى يؤتي بحثه ثماره وأكله على الوجه الأكمل.

لكن هناك أمورا وأخطاء ينبغي أن يتجنبها الباحث في التفسير وأن يحذر الوقوع فيها .. **يتكفل البحث ببيانها في المبحث التالي:**

---

(١) للوقوف على المزيد يراجع: المدخل إلى التفسير الموضوعي، د/ عبد الستار فتح الله سعيد صـ ٥٦ وما بعدها، ط دار التوزيع والنشر الإسلامية عام ١٩٩١م، ومباحث في التفسير الموضوعي، د/ مسلم صـ ٣٧، والمقومات د/ خميس صـ ٣٤ ، والبداية د/ الفرماوي صـ ٤٧ ، والتفسير الموضوعي د/ الخالدي صـ ٧٦ وما بعدها .. وغيرها.

المبحث السابع: أمور يجب التنبه لها.

معرفة هذه الأمور من الأهمية بمكان ، فمعرفتها والوقوف عليها تجنب الباحث الزلل والشطط ، ومن ثم يخرج بحثه في حلة قشيبة ، وثوب بهي ناصع البياض ، عظيم الفوائد كثير المنافع والعوائد .. وهذه الأمور هي:

أولا: التنبه إلى التدرج التشريعي للقرآن وأحكامه.

ذلك أن القرآن الكريم نزل منجما في ثلاث وعشرين سنة حسب الحوادث ، إما تقريرًا لحكم ، او جوابًا لسؤال ، أو دفعًا لفرية ، أو تخفيفًا لحكم ، أو نسخًا لآخر .. فمن لم يسلك طريق التدقيق والتمحيص ومعرفة السابق واللاحق ، وسبب النزول .. وقع في مزالق وأخطاء.

ويمثل لذلك بآيات تحريم الربا ، فلو لم يكن الباحث على دراية تامة بالسابق واللاحق حمل المطلق على المقيد ، ومن ثم لا يحرم الربا إلا إذا كان أضعافا مضاعفة وما ليس كذلك فليس بحرام.

وهذا لا شكك فهم خطأ ، أوقع فيه عدم المعرفة بالتدرج التشريعي.

ثانيا: اتباع هذه الخطوات السابقة في المنهج العلمي للتفسير الموضوعي، ويقوم بتطبيقها تطبيقا دقيقا ، وإلا خفيت عليه الصورة الكاملة للموضوع كما يهدف إليها القرآن الكريم ، ومن ثم لا يخرج بحثه عن الوجه المطلوب.

ثالثا: أن يعلم متبع هذا المنهج أنه يقصد إلى تجلية هدف واحد وهو أن القرآن الكريم جاء للهداية ، مع ترابطه وتناسقه، تاركا كل الأهداف دونه ، وإلا حاد عن جادة الصواب ، وما استشعر القارئ بلاغة القرآن ، ولا أحس بإعجازه ، ولا أدرك جمال الربط بين آياته وكلماته (١).

رابعا: ينبغي ألا يغيب عن ذهن الباحث في التفسير أن توزيع الموضوع الواحد في القرآن الكريم له أهداف سامية وغايات نبيلة ووجوه إعجازية ... قد تظهر له حكمة من الحكم وقد لا تظهر فلا ييأس وليعاود النظر مرات ومرات لعل الله أن يفتح عليه بما لم يكن لغيره من السابقين ، والله أعلم.

---

(١) يراجع في ذلك: البداية د/ الفرماوي صـ ٥٦، ٥٧.

المبحث الثامن: **الحكمة من توزيع الموضوع الواحد في القرآن**.

لا شك أن لهذا المنهج القرآني الفريد في توزيع الموضوع الواحد على سور شتى حكما وأسرارا ، وينطوي هذا الصنيع على معان وغايات يلخصها البحث في الأمور التالية:

أولا: فرق الله تعالى ذكر الموضوع الواحد في القرآن الكريم لتكرار العظة والعبرة ، من باب التذكير لمن نسيها ، ولتوكيد وترسيخ مرماها في ذهن من حفظها أو قرأها.

ثانيا: نظرا لاتساع القرآن الكريم من كثرة آياته وغزارة مادته ، فقد لا يستطيع كثير من الناس قراءة القرآن كله ، أو سماعه كله – خاصة في هذا العصر – فلو ذكر الموضوع كاملا في موطن واحد بلا تكرار ، فهذا يعني أن من قرأ قدرا منه خلا من ذكر هذا الموضوع فلن يعلم عنه شيئا ، وإنما جزأ الله تعالى الموضوع ليتسنى لمن يقرأ أي قدر من القرآن أن يلم بطرف منه تكون فيه العبرة ، ويكون حافزا لمعرفة بقية أجزائه.

ثالثا: إظهار جوانب أخرى من العبر والحكم تناسب المقام ، وتتسق مع ما قبلها وما بعدها.

رابعا: تأكيد وحدة القرآن الكريم ، وبيان أن ما ورد به من أحكام هو كل لا يتجزأ ، ويجب علينا العمل بجميعه ، فحين يأتي الحديث في القرآن عن الأسرة ، يذكر معه أمر العقيدة والعبادة ليعلم المسلم أن من الواجب عليه – وهو يمتثل منهج الله تعالى في التعامل مع أسرته – ألا يغفل جانب العقيدة والعبادة .. (١).

خامسا: وتظهر لي حكمة جليلة مفادها: أن الله تعالى قسم الموضوع الواحد على مواطن مختلفة تفننا في الأسلوب ، وتنوعا في العبارة حتى لا يتسرب الملل والضجر إلى القارئ أو السامع للقرآن الكريم إذا ما ذكر جميع ما يتعلق بموضوع ما في موطن واحد ، وحتى يدفع شوق القارئين والسامعين إلى المزيد والمزيد من القرآن الكريم ليستكملوا موضوعهم ، ويلتمسوا فيه بغيتهم. ولا شك أن في ذلك المزيد والمزيد من الأجر.

---

(١) يراجع: الدراسات في القرآن الكريم: تفسير موضوعي د/ محمد عبد السلام أبو النيل، صـ ٢٣ وما بعدها، بتصرف وتلخيص، ط دار الفكر الإسلامي بالقاهرة، ١٩٨٧م.

المبحث التاسع: **خطوات البحث في التفسير الموضوعي لسورة قرآنية واحدة**.

وهذه الخطوات تتلخص فيما يلي:

أولا: اختيار سورة من السور القرآنية التي تعنى بتوضيح وتفصيل وعلاج كثير من القضايا والمشكلات التي تمس إليها حاجة العصر الذي يحياه الدارس ، أو تصحيح مفاهيم غير صحيحة سادت في المجتمع ، فإن الفائدة حينئذ تعظم والنفع يعم ويكثر.

ثانيا: التقديم بين يدي السورة الكريمة بتمهيد يعرف بها من كونها مكية أو مدنية وعدد آياتها ، والمقاصد العامة للسورة ، واسمها ، وأهم الموضوعات التي تناولتها والربط بينها ، وأوجه المناسبة بينها وبين ما سبقها من سور ، وسبب النزول إن وجد ...

ثالثا: محاولة التعرف على الهدف الأساسي للسورة ، ويكون ذلك من خلال دلالة الاسم على الموضوعات المطروحة في السورة أو من المرحلة التي نزلت فيها.

رابعا: تقسيم السورة – وبخاصة الطويلة – إلى مقاطع أو فقرات ومواطن تتحدث آيات كل مقطع عن عنصر معين ، أو فكرة ما ، ويقوم بإبراز كل فكرة على حدة ، معنونا لهذه المقاطع بعناوين مناسبة تناسب محتواها.

خامسا: ربط هذه المقاطع وما يُستنبط منها من هدايات بالهدف الأساسي للسورة الكريمة بقصد إظهار هذا الهدف ، وكأنها جداول صغيرة تمد المجرى الأساسي للنهر الأعظم ، مستنيرا بما سطره علماؤنا الأجلاء في تفاسيرهم المختلفة من كتب التراث (١).

ولقد عني بعض علمائنا الأجلاء في العصر الحديث بمثل هذا اللون في التفسير ، فكانوا يبرزون كثيرا من مقاصد السورة وأهدافها وأهم الموضوعات التي تناولتها السورة ، وإبراز الوحدة الموضوعية فيها من هؤلاء الشيخ الفاضل/ محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره "**التحرير والتنوير**" والأستاذ المفضال/ سعيد حوى في تفسيره "**الأساس في التفسير**" ، والشيخ الهندي/ عبد الحميد الفراهي في تفسيره "**نظام القرآن**"

---

(١) يراجع في ذلك: مباحث في التفسير الموضوعي د/ مسلم صـ ٤٠ بتصرف وتلخيص، والتفسير الموضوعي، د/ الخالدي صـ ٧٢ وما بعدها.

وكتابه "**دلائل النظام**" ... وغيرهم (١).

(١) يعد من الأقدمين الرائدين في هذا المجال أيضا الإمام الزمخشري في تفسيره (الكشاف) ، والإمام العملاق فخر الدين الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) والإمام المغوار في هذا المجال أيضا: البقاعي في كتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) وغيرهم.

أهم المصادر والمراجع

١ ـ البداية في التفسير الموضوعي للدكتور / عبد الحي الفرماوي ، ط دار الطباعة الإسلامية بالقاهرة ، ط السابعة ٢٠٠٥م.

٢ ـ البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشي ، تح أ/ محمد ابو الفضل إبراهيم ، ط مكتبة دار التراث بالقاهرة ، بدون.

٣ ـ التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق للدكتور / صلاح الخالدي ، ط دار النفائس بالأردن ٢٠٠١م.

٤ ـ التفسير والمفسرون للدكتور / محمد حسين الذهبي ، ط وهبة بالقاهرة ١٩٨٩م.

٥ ـ تقريب التهذيب للإمام ابن حجر العسقلاني ، ط التوفيقية بالقاهرة ٢٠٠٣م.

٦ ـ الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية للإمام محيي الدين بن محمد بن أبي الوفاء (ت ٧٧٥هـ) ، تح أ/ عبد الفتاح الحلو ، ط الحلبي ١٩٧٨م.

٧ ـ الدراسات في القرآن الكريم . تفسير موضوعي للدكتور / محمد عبد السلام أبو النيل رحمه الله تعالى ، ط دار الفكر الإسلامي بالقاهرة ١٩٨٧م.

٨ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للإمام ابن حجر العسقلاني ، ط دار الجيل بيروت ، بدون.

٩ ـ رجال حول الرسول للأستاذ / خالد محمد خالد ، ط المقطم ١٩٩٤م.

١٠ □ صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج ، ط الحلبي بالقاهرة.

١١ ـ طبقات المفسرين للإمام محمد بن علي الداودي ، ط العلمية بيروت ١٩٨٣ .

١٢ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني ، ط الريان للتراث بالقاهرة ١٩٨٧م.

١٣ ـ لسان العرب للإمام العلامة محمد بن مكرم بن منظور ، ط دار الحديث بالقاهرة ٢٠٠٣م.

١٤ـ **مباحث في التفسير الموضوعي** للدكتور / مصطفى مسلم ، ط دار القلم دمشق ٢٠٠٠م.

١٥ـ **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** للإمام / عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (٧١٠)هـ ، ط العلمية بيروت ١٩٩٥م.

١٦ـ **المدخل إلى التفسير الموضوعي** للدكتور / عبد الستار فتح الله سعيد ، ط دار التوزيع والنشر الإسلامية عام ١٩٩١م

١٧ـ **المفردات في غريب القرآن** للإمام الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) ، تح أ/ محمد خليل غياتي ، ط دار المعرفة بيروت ١٩٩٩م

١٨ـ **مقدمة التفسير الموضوعي** للشيخ الإمام أحمد بن تيمية ، تقديم وتحقيق د/ عبد الرحمن عميرة ، ط دار الاعتصام بالقاهرة ١٩٩٤م.

١٩ـ **مقدمة المجاز** للإمام أبي عبيدة معمر بن المثنى ، إعداد د / محمد فؤاد سزكين ، ط مكتبة الخانجي بالقاهرة بدون.

٢٠ـ **مقومات الحياة من القرآن** للدكتور / إبراهيم الدسوقي خميس ، ط دار الصحوة للنشر بالقاهرة ١٩٨٥م.

٢١ـ **الوجوه والنظائر لألفاظ الكتاب العزيز** للإمام أبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني (٤٧٨هـ) ، تح أ/ محمد حسن أبو العزم ، ط المجلس للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٩٩٥م.

٢٢ـ **الوحدة الموضوعية** للدكتور / محمد محمود حجازي ، ط المدني بالقاهرة ١٩٧٠م.